

دراسة نصية تحليلية لقول الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۗ قَالَ أُولَٰئِكَ تُؤْمِنُونَ ۗ قَالَ بَلَىٰ ۗ قَالُوا وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ۗ) ١

د. إيمان بنت محمد العسيري

الأستاذ المساعد بقسم المواد العامة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبد العزيز بجدة

مستخلص. تدور مادة هذه الدراسة حول طلب الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام لربه، وسؤاله أن يُريه كيف يحيي الموتى، وهل كان إبراهيم شاكا حين سأل ربه؟ ومثلها كذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم (نحن أحق بالشك من إبراهيم)، وهل في حديث النبي صلى الله عليه وسلم إشارة لإمكان حصول الشك في قضايا الاعتقاد كمقدمة لحصول اليقين؟ أو إقرار بصحته؟ وقد تطلب هذا بيان الآراء حول الآية الكريمة والحديث النبوي الشريف، والوقوف على أرجحها، وبيان وجه ترجيحها. كما تطلب هذا ابتداء الحديث عن مفهوم الشك وأقسامه، وهل الشك أول واجب على المكلف كما يقول الشكّاك؟ وهل يمكن القول بوجود شك إيجابي وآخر سلبي؟ وكيف يجاب عن كل ذلك؟

المقدمة

الحمد لله الذي قطع بالعلم النافع زيف المرتابين، وثبتت باليقين الصادق قلوب المؤمنين، وأرسل مع رسله الآيات والبراهين، والصلاة والسلام على إمام المتقين وقدوة الموقنين، محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، أما بعد.

فإن من شروط صحة كلمة التوحيد أن يقولها المؤمن موقناً بمعناها مسلماً بمقتضاها، كما أن من نواقض الإيمان الشك المنافي لليقين، ولذلك ذمّ الله تعالى

المرتابين والمترددين، بقوله تعالى: (إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) ١.

وأثنى الله تعالى على أهل الإيمان بما حصل في قلوبهم من يقين، فقال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) ٢.

وكتاب الله الكريم يحكى قصة الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام وسؤاله ربه أن يُريه كيف يحيي

٢ الحجرات/١٥

١ التوبة/٤٥

المبحث الثاني: المعنى الإجمالي لقول الله تعالى:
(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٢٦٠)

المبحث الثالث: المعنى التفصيلي لقول الله تعالى:
(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٢٦٠)

المبحث الرابع: القول الراجح، ووجه ترجيحه.

الخاتمة: وفيها ما يستفاد من هذه الدراسة.

المبحث الأول: مفهوم الشك، وعلاقته بقضايا الاعتقاد

أولا / تعريف الشك:

الشك لغة: ضدّ اليقين.^٥

الشك اصطلاحاً: التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك.^٦

والناس حول هذا الشك انقسموا لفريقيين:

أ/ أتباع مذهب الشك: الذين ينكرون إمكان قيام معرفة إنسانية.

الموتى، فقال تعالى وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠).^٣

ووافق هذه الآية العظيمة حديث نبوي، ذكره أبو هريرة رضي الله عنه وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (نحن أحقّ بالشك من إبراهيم، إذ قال رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي...)^٤.

ودراستي هذه يدور محورها حول هذه المسألة العقديّة التي اختلف حولها العلماء، وكانت لهم فيها أقوال متباينة تحاول الإجابة عن تفسير شافٍ لمعنى هذه الآية الكريمة والحديث المتعلّق بها، وهل كان إبراهيم شاكاً حين طلب من الله تعالى رؤية كيفية إحيائه الموتى؟ وهل يصح الاستدلال بالآية على وجوب الشك لحصول المعرفة؟ وهل الشك أول واجب على المكلفين؟

وقسمت الدراسة على النحو التالي:

المقدمة

المبحث الأول: مفهوم الشك، وعلاقته بقضايا الاعتقاد.

^٣ البقرة/ ٢٦٠

^٤ رواه البخاري. كتاب التفسير. باب تفسير سورة محمد(٤/١٨٢٨). وأبي داود في سننه. (٤/٣٦٧). رقم ٥٢٦٦. وأحمد في مسنده. (٢/٣٣٠). وذكره الحاكم في المستدرک(٤/١٧٨). والبيهقي في

شعب الإيمان.(٦/٢١٤). وفتح الباري. ابن حجر.(٨/٥٨٠ و٤١٧/١٠).

^٥ ينظر: التعريفات الجرجاني. (٣٦). والمعجم الفلسفي. جميل صليبا.(١/١٣٤). ومعجم الصحاح. مادة "شك".

^٦ التعريفات الجرجاني. (٣٦).

أصل المعارف الدينية، وعليه يتفرع وجوب كل واجب، وقيل هو النظر لأنه واجب وهو قبلها، وقيل أول جزء من النظر، وقال القاضي واختاره ابن فورك القصد إلى النظر. والنزاع لفظي، إذ لو أريد الواجب بالقصد الأول فهو المعرفة وإلا فالقصد إلى النظر وإلا فإن شرطنا كونه مقدورا فالنظر، وإلا فالقصد إلى النظر).^{١٢}

وقال أهل السنة: إن أول واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، فمن نطق بالشهادتين قبل بلوغه لم يؤمر بتجديد ذلك عقيب بلوغه.^{١٣}

وقد ذكر علماء السنة أن من شروط لا إله إلا الله (اليقين المنافي للشك)، قال الإمام ابن القيم موضحا منزلة اليقين وأهميتها، ومعارضتها للشك والريب: (فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح... وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره... ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورا وإشراقا، وانتقى عنه كل ريب وشك وسخط).^{١٤}

وهذا لا يعني أن الإسلام يدعو الناس إلى الانقياد له دون نظر وتدبر، بل إنه أمر بذلك وحث عليه، لكنه رحمة بالناس راعي ظروفهم ومستوياتهم واستعداداتهم فسلك بهم المسالك المناسبة لهم التي توصلهم إلى اليقين.^{١٥}

ب/ أتباع مذهب اليقين: الذين يقولون بإمكان حصول المعرفة.^٧

وينقسم الشك المتعلق بالمعرفة إلى:

أ/ الشك المطلق (الحقيقي): الذي ينكر جميع المحسوسات والبدهيات وصاحبه يبدأ شاكاً وينتهي كذلك، وقد ولد في الفكر اليوناني نتيجة سيطرة الفلسفة عليه.^٨

ب/ الشك المنهجي (الذاتي): وهو الوسيلة التي تهدف إلى الوصول إلى المعرفة الصادقة، وصاحبه يبدأ شاكاً وينتهي متيقناً.^٩

ثانياً / علاقة الشك بقضايا الاعتقاد:

إن مسألة الشك في قضايا الاعتقاد متعلقة بمسألة وجوب معرفة الله، وما يلزم له من النظر أو عدمه، والشك أو عدمه.

واختلف العلماء في أول واجب على المكلف، فقال المتكلمون: إن أول واجب هو النظر، أو المعرفة التي طريقها النظر، وألزم القائلون بهذا القول على ضرورة تقدم الشك عليهما، وهناك من جعل أول الواجبات الشك^{١٠}، وهناك من قال إن النظر لا يستلزم الشك.^{١١}

قال الإيجي: (..قد اختلف في أول واجب على المكلف، فالأكثر على أنه معرفة الله تعالى إذ هو

^٧ ينظر: مصادر المعرفة د/محمد الزبيدي. (٥٩).

^٨ من أشهر أتباعه مونتاني وبيرون. ينظر: المعجم الفلسفي. (١١٣/١). وأسس الفلسفة توفيق الطويل. (٣١٨). ومصادر المعرفة د/عبد الرحمن الزبيدي. (٦٥).

^٩ من أشهر أتباعه ديكرات، وقبله الغزالي. ينظر: المراجع السابقة.

^{١٠} ينظر: مصادر المعرفة. د/ عبد الرحمن الزبيدي. (٧٢). والمواقف في علم الكلام. عبد الرحمن الإيجي. (٣٢)

^{١١} ينظر: مصادر المعرفة. (٧٢).

^{١٢} المواقف في علم الكلام. للإيجي. ٣٢. ط عالم الكتب. بيروت.

^{١٢} ينظر: شرح العقيدة الطحاوية. (٧٨). ودرء التعارض. ابن تيمية. (٨/ ٨) - (١٥-١٠)، ويرى ابن تيمية أنه جاء الأمر بالنظر لبعض الناس في القرآن الكريم وهو يوافق قول من قال إنه يجب على من لم يحصل له الإيمان إلا به، بل هو واجب على كل من لا يؤدي واجبا إلا به، وهو أصح الأقوال عنده.

^{١٤} مدارج السالكين. (٤١٣/٢). ومعارج القبول. الشيخ حافظ حكمي. (٣٠٨/١-٣٠٩)

^{١٥} ينظر: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي. د/عبد الرحمن الزبيدي. (٧٨)

نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولوا كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون)١٧!..

فبيّن أنهم في حالة شك من عقائدهم التي يتشبثون بها، وليسوا على علم بيّن فقال: (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج).١٨ قال الشوكاني، أي: أمر مختلط مضطرب، ليسوا فيه على وضوح.١٩

وهنا طلب منهم القرآن النظر والتفكر لمعرفة العقيدة الإسلامية، ووجههم إلى مسالك المعرفة دون أن يترك عقولهم تتخبط في ظلمات المجهول كما هو حال كثير من الفلاسفات البشرية.٢٠

ومن أنواع الكفر الأكبر: كفر الشك، حين لا يجزم صاحبه بصدقه ولا كذبه، بل يشك في أمره، وهو متعلق بقول القلب بسبب اختلال شرط العلم. ومن كفر الشك: الشك في صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، أو الشك في البعث، أو الشك في كفر الكافر، أو الشك في شيء من القرآن، أو الشك في حكم من الأحكام.٢١
ومما يتعلق بهذه المسألة فائدتان:

الأولى/ أن هناك فرقا بين الشك والوسوسة، وأن الوسوسة هي مما يهجم على القلب بغير اختيار الإنسان، فإذا كرهه العبد ونفاه كانت كراهته صريح الإيمان.

الثانية/ أن هناك فرقاً دقيقاً بين الشك والريب، فالريب يكون في علم القلب وفي عمل القلب، بخلاف الشك،

والقرآن الكريم في دعوته الناس إلى العقيدة الصحيحة، - وهي الغاية التي تسعى المعرفة البشرية نحو الوصول إليها من حيث كونها حقائق - يوقظ فيهم تلك المبادئ الضرورية ليزنوا بها ما هم عليه من عقائد وما دعاهم إليه ليصلوا إلى المعرفة الصحيحة، بدون حالة توقف يطالب فيها الشخص أن يشك في كل شيء ويفرغ عقله ليبدأ من جديد منشئاً معارفه دون هاد أو معين.

أما المعارف النظرية الأخرى التي وُكِّل إلى العقل البشري تحصيلها مستعيناً بالتجربة والوسائل المتهيئة أمامه في شؤون المعاش والعمران، فإن في منهج الإسلام في توجيهه إلى تحري الحقيقة والتثبت مما يشاع، وعدم التسليم بكل ما يطرح لمجرد سماعه، والتحذير من اقتفاء ما لا دليل عليه - وإن كان رائجاً - ما يمثل منارا في هذا المجال، يجعل المسلم يسعى ليتبين الحق بأدلته المفضية إليه، مطّرحاً ما كان سبب رواجه وتأثيره الإلف والعادة والأعراف. وقد فهم المسلمون هذا التوجيه وتمثّلوه في مناهجهم العلمية والتجريبية.٢٦

أما الذين رفضوا العقيدة الإسلامية فقد سلك القرآن معهم مسلك التشكيك في عقائدهم الفاسدة، وبين أنها لم تقم على علم صحيح بل صدرت عن جهل وضلال، قال سبحانه: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل

٢١ ينظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية. (٣٨٦/٢). والصارم المسلول له. (٥٩١-٥٩٢). ومجموعة التوحيد "عشر رسائل" لابن تيمية وابن عبد الوهاب وأئمة الدعوة. (٢١٣). ونواقض الإيمان الاعتقادية. د/محمد الوهبي. (٧٢-٧١/٢).

١٦ ينظر: مصادر المعرفة. د/عبد الرحمن الزبيدي. (٨١)

١٧ البقرة/ ١٧٠. وينظر: المرجع السابق. (٧٩)

١٨ ق/ ٦

١٩ فتح القدير. (٧١/٥)

٢٠ ينظر: مصادر المعرفة. (٨٠)

أجزاء^{٢٥}، ثم يجعل على كل جبل منهن جزءاً^{٢٦}، وأخذ رؤوسهن بيده، ثم أمره الله تعالى أن يدعوهن، فدعاهن كما أمره الله، فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش، والدم إلى الدم، واللحم إلى اللحم، والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها إلى بعض، حتى قام كل طائر على جدته وأتينه يمشين سعيًا، ليكون أبلغ له في الرؤية التي سألها، وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإذا قدّم له غير رأسه يأباه، فإذا قدم إليه رأسه تُرْكَب مع بقية جسده بحول الله وقوته، ولهذا قال الله تعالى: (وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) أي: عزيز لا يغلبه شيء ولا يمتنع من شيء وما شاء كان بلا ممانع؛ لأنه الظاهر على كل شيء حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره^{٢٧}.

المبحث الثالث:

المعنى التفصيلي لقول الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِنَّكَ إِيَّاكَ تُمْ أَجْعَلُ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا تُمْ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٢٦٠)

فإنه لا يكون إلا في العلم، ولهذا لا يوصف باليقين إلا من اطمأن قلبه علمًا وعملاً^{٢٢}. والمتأمل للآية الكريمة -مدار البحث- يجد أنها حوت مجموعة من المسائل العقديّة التي تضاف على ما ذكر، ففيها إثبات صفة الكلام لله تعالى من خلال ما دار بينه وبين نبيه إبراهيم عليه السلام من حوار، وفيها إثبات البعث والإحياء بعد الموت مما يختص بعالم الغيب، وفيها ثبوت نزول الوحي على الأنبياء، وفيها أن الإيمان متعلق باليقين، فلا إيمان من غير يقين ولا يقين من غير إيمان، وهذا يخالف المنهج الشكّي. المبحث الثاني:

المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِنَّكَ تُمْ أَجْعَلُ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا تُمْ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٢٦٠))

لما أراد إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يصل إلى زيادة اليقين، طلب من ربه عز وجل أن يُريه (كيفية) إحياء الموتى، متطلّعًا ومنتشوقًا لمعرفة أسرار خلق الله تعالى، وأسرار البعث بعد الموت، فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة^{٢٣} من الطير^{٢٤} فيقطعهن ويقسمهن لعدة

^{٢٥} أذهان لا ينبغي أن تجعل وجوها لكلام الله جل وعلا. ينظر: فتح القدير. (١/٢٨١-٢٨٠).

^{٢٦} وهذا معنى قوله (فصرهن)، أي قطعهن.

^{٢٧} قيل أربعة جبال، وقيل سبعة. ينظر: تفسير ابن كثير. (١/٣٢٣)

^{٢٨} ينظر حول هذا المعنى فتح القدير. للشوكاني. (١/٢٨١-٢٨٣). وتفسير البغوي. (١/٢٤٨-٢٤٧). وتفسير القرآن العظيم. ابن كثير. (١/٣٢٢). وزاد المسير. ابن الجوزي. (١/٣١٣-٣١٥). وروح المعاني. الألوسي. (٣/٢٦-٣٢). وتفسير الجلالين. (١/٥٨). وغيرها من كتب التفاسير المختلفة.

^{٢٢} ينظر: مجموع الفتاوى. شيخ الإسلام ابن تيمية. (١٤/١٠٨). والإيمان. له. (٢٦٨). ونواقض الإيمان الاعتقادية. د. محمد الوهيبي. (٢/٧٣).

^{٢٣} اختلف المفسرون في هذه الأربعة، فقيل: هي الغرنوق والطاوس والديك والحمامة، وقيل: هي الوز والرأل (فرخ النعام) والديك والطاوس، وقيل: الحمامة والديك والطاوس والغراب. ينظر: تفسير ابن كثير. (١/٣٢٣).

^{٢٤} ذكر الشوكاني أن تخصيص الطير بذلك قيل لأنه أقرب أنواع الحيوان إلى الإنسان، وقيل لأن الطير همته الطيران في السماء والخليل كانت همته العلو، وقيل غير ذلك، ويبيّن أن هذا ليس إلا خواطر أفهام وبواد

٢- أن محمداً صلى الله عليه وسلم أراد بقوله: { نحن أحقّ بالشك من إبراهيم}، أن يعلن وببساطة أحقية المسلمين بهذا الشك، أي إن هذا الشك صار موضعاً للتنافس والمسابقة بدلاً من أن يكون تهمة مدفوعة. وأنّ المسلمين ورثة إبراهيم الذي بدأ إيمانه من التساؤل والشك أحقّ بهذا الميراث من غيرهم، وأن الشك هو كنز الإيمان ومفتاحه الأول الذي يفتح له آفاقاً أوسع (قد يكون اليقين من بينها، لكنه أبداً يظلّ يقيناً متجدداً بالشك الذي يتفاعل معه ويفاعله، ولولا الشك الذي نحن أحقّ به من إبراهيم، لتحوّل اليقين إلى موروث مكرس غبي مليء بالضجر والرتابة.^{٣٢}

٣- أنّ الآية الكريمة مدنية، والحديث الشريف لم يرد في فترة مبكرة من الفترة المدنية، والرسول صلى الله عليه وسلم بذلك حين أعلن أحقيته وأتباعه بالشك لم يكن في مرحلة مبكرة من نزول الوحي عليه، وهذا يشير إلى أهمية إعادة النظر وتجديد التقييم، وربط ذروة الإيمان بحالة التساؤل والتشكيك (الإيجابيتين)، التي تسهم في تأصيل الإيمان وتعميق جذوره، لا الإطاحة به كما يتصور البعض.^{٣٣}

الاتجاه الثاني/ النافون للشك

اختلفت آراء المفسرين حول معنى الآية الكريمة والحديث الشريف المتعلق بها، ويمكن تقسيمها إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول / القائلون بالشك

وهؤلاء انطلقوا من مبدأ أن الشك أول منازل اليقين، ومنه يسلك الشاك طريق اليقين ويصعد إليه، وهو ما يعرف بالشك المنهجي، والذي جاء به الغزالي^{٢٨}، وبناء على هذا المبدأ حملوا الآية الكريمة ومتعلقها من السنة عليها، وقاسوها بها. ومن آرائهم فيها:

١- أنّ سبب سؤال إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان شكّه في معرفة المعاد مثلما أنه كان شاكاً في معرفة المبدأ، فأما شكّه في معرفة المبدأ فيثبته قوله تعالى: { لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين }^{٢٩}، ومثله سؤال موسى عليه السلام (قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَايَ وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣))^{٣٠}، وأما شكّه في المعاد فهو في هذه الآية، ومعناه: (أن إبراهيم شكّ في قدرة الله على إحياء الموتى).^{٣١}

ما يدخل قلوب الناس. قال رب أرني كيف تحيي الموتى..، والذي يظهر لي من استدلالاتهم أنها تتحدث عن الوسوسة التي هي صريح الإيمان، وليس الشك. وهو ما سيوضح عند بيان رأي النافين لشك إبراهيم.^{٣٢} ينظر: البوصلة القرآنية. د/ أحمد خيرى العمري.
^{٣٣} ينظر المرجع السابق. و مقال: نظرية الشك بين العبقريّة والإلحاد. منتديات حزن. ومقال: علمنة الحوار الديني. منى أبو زيد. وموقع جسد الثقافة aljsad.net. ومقال: وليد سامي أبو الخير. موقع آراء. الأحد. ١٤٢٧، ٤ هـ. وموقع العربية نت. مقال نشر بتاريخ ٢٨-٣-١٤٣١ هـ.

^{٢٨} والشك المنهجي تأصل لاحقاً في مدرسة فلسفية عرفت عند ديكرت
^{٢٩} الأنعام/ ٧٧
^{٣٠} ينظر: البوصلة القرآنية. د/ أحمد خيرى العمري. مقتبس من كلامه من موقع سبيل الإسلام.
^{٣١} هذا الرأي ذكره الطبري في تفسيره للآية الكريمة. (٣/٢٩٨-٢٩٧)، عند حديثه عن الآراء حولها. وأن أصحابه استندوا في ذلك بقول ابن عباس: أرجى آية في القرآن هذه الآية (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى..)، قال ابن عباس: هذا لما يعرض في الصدور، ويوسوس به الشيطان. وحديث عطاء بن أبي رباح أنه قال: دخل قلب إبراهيم بعض

٦- أن إبراهيم سأل الله كيف يحيي الموتى حتى يعلم أنه خليله.^{٤٠}

٧- أنه سأل الله ليعلم أنه أجاب دعاءه.^{٤١}

٨- سألته لأن النمرود لما قال له: ما ربك؟ قال: ربي الذي يحيي ويميت، فذكر ما قصه الله مما جرى بينهما، فسأل إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى من غير شك منه في القدرة، ولكن أحب واشتاق إليه فأراد أن يطمئن قلبه بحصول ما أراه.^{٤٢}

٩- قيل أراد بقوله: (كيف يحيي الموتى) أقدمني على إحياء الموتى، فتأدب في السؤال.^{٤٣}

١٠- وقيل: محبة المراجعة في السؤال.^{٤٤}

وقد رجح الكثير من المفسرين نفي حصول الشك من إبراهيم، ومنهم من ذكر كل هذه التفسيرات، ومنهم من ذكر بعضها، ومنهم من اكتفى ببيان رأيه القاطع بامتناع الشك وترك ذكر بقية التفسيرات.

وهو رأي الجمهور، وكل من قرأت له من المفسرين على هذا الرأي الذي يقول بأن الشك لا يمكن وقوعه من المؤمن صادق الإيمان، وعدم وقوعه من نبي الله عليه الصلاة والسلام من باب أولى، وكانت التفسيرات ضمن هذا الرأي كثيرة، لكن تعود في أصلها إلى امتناع صدور الشك من إبراهيم^{٤٥}، وقد وجهوا الآية بعدد من التوجيهات:

توجيه الآية عند النافين لوقوع الشك من إبراهيم عليه السلام:

١- قيل: أراد بقوله: (ليطمئن قلبي): رجلا صالحا كان يصحبه سألته عن ذلك.^{٣٥}

٢- قيل: أنه سألته ليذهب عنه شدة خوفه.^{٣٦}

٣- قيل: سأل ربه أن يريه كيف يحيي القلوب.^{٣٧}

٤- قيل: أراد طمأنينة النفس بكثرة الأدلة.^{٣٨}

٥- قيل: كان الشك قبل النبوة.^{٣٩}

وينظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن لبان. (٨٨/١٤). حديث رقم ٦٢٠٨.

^{٤٢} ذكره ابن حجر في الفتح وقال: حكاه الطبري عن ابن إسحاق، وعن ابن أبي حاتم من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة قال: " المراد ليطمئن قلبي أنهم يعلمون أنك يحيي الموتى".

^{٤٣} ذكره ابن حجر في الفتح، ونقل عن ابن الحصار، قوله: "إنما سأل أن يحيي الله الموتى على يديه، فلماذا قيل له في الجواب: فصرهن إليك".

^{٤٤} ذكره ابن حجر في الفتح. والقول بنفي وقوع الشك عن إبراهيم موجود في كتب التفاسير، ومنها: تفسير ابن كثير، (٣٢٢/١). تفسير الطبري، (٤٧/ ١). فتح القدير، للشوكاني، (٢٨٣-٢٨١/١). تفسير البغوي، (٢٤٧-٢٤٨/١). تفسير البيضاوي، (٥٦٢-٥٦٤). تفسير الثعالبي، (٢٠٩-٢٠٨/١). تفسير ابن أبي السعود، (٢٥٧-٢٥٦/١).

تفسير الواحدي، (١٨٦/١). شرح صحيح مسلم، للسيوطي، (١٨٢/٢). الدر المنثور، للسيوطي، (٣٣-٣٢/٢). الديباج على صحيح مسلم، للسيوطي، (١٧٣/١). حاشية السندي على شرح صحيح البخاري.

تفسير الجلالين، (٥٨/١). وزاد المسير، لابن الجوزي، (٣١٣/١-٣١٥). وروح المعاني، للألوسي، (٣١٥-٣١٣/٣). وغيرها من الدراسات الحديثة كمحاضرة الشيخ زيد بن مسفر البحري من موقعه على شبكة الانترنت. ومندوبات طريق الحقيقة. fotway. ومقال د/ إحسان الأمين: النقد الكلامي في التفسير من موقع

www.balagh.com/msoaltafsir11efkm4.htm

^{٤٥} بعض الكتاب الذين قرأت لهم عبر الشبكة العنكبوتية من شدة مغالاته وتطرفه في نفي وقوع الشك عن الأنبياء، شكك في صحة الحديث، وطمعن في روايته، واستخدم أسلوب التجريح، ونال من الإمام البخاري. ^{٣٥} ذكره ابن حجر في الفتح. (٥٨٠/٨) و(٤١٧/١٠)، وهو قول يعيد كما بين، وهو من حكاية ابن التين عن بعض من لا تحصيل عنده - كما قال-.

^{٣٦} ذكره ابن حجر في الفتح من حكاية ابن التين عن الداودي الشارح، وقال ابن التين: "وليس ذلك بالبين".

^{٣٧} ذكره ابن حجر في الفتح وقال: حكاه القرطبي من بعض الصوفية.

^{٣٨} ذكره ابن حجر في الفتح.

^{٣٩} ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح.

^{٤٠} ذكره ابن حجر في الفتح، (٥٨٠/٨) و(٤١٧/١٠). وقال روى الطبري وابن أبي حاتم من طريق السدي قال: (لما اتخذ الله إبراهيم خليلا استأذنه ملك الموت أن يبشره فأذن له، ذكر قصة معه في كيفية قبض روح الكافر والمؤمن، قال: فقام إبراهيم يدعو ربه: "رب أريني كيف يحيي الموتى حتى أعلم أنني خليلك"، ورواية ابن أبي حاتم من طريق أبي العوام عن أبي سعيد قال: "ليطمئن قلبي بالخلّة"، ومن طريق قيس بن مسلم عن سعيد بن جبيرة قال: "ليطمئن قلبي أنني خليلك".

^{٤١} ذكره ابن حجر في الفتح من طريق الضحاك عن ابن عباس: " لأعلم أنك أجبت دعائي"، ومن طريق علي بن أبي طلحة عنه: "لأعلم أنك تحبيني إذا دعوتك"، وقال ابن حجر: إلى هذا جنح القاضي أبو بكر الباقلاني.

علماء العربية أن (أفعل)، ربما جاءت لنفي المعنى عن الشيين، نحو قوله تعالى: **أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبُعِ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَا هُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧)**^{٤٦}، أي: لا خير في الفريقين، وعلى هذا فمعنى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد به: "لا شك عندنا جميعاً"^{٤٧}.

المبحث الرابع: القول الراجح ووجه ترجيحه

من المعروف لدينا أن الإيمان مراتب ودرجات، وهي على الترتيب: درجة علم اليقين، ودرجة عين اليقين، ودرجة حق اليقين، فلو قيل لأحد إن في الحقيقة قلما، فقد أصبح عنده (علم يقين) بأن القلم في الحقيقة، ولو فتح الحقيقة ورأى القلم أصبح عنده برؤيته (عين يقين)، وإن أخرج القلم من الحقيقة وأمسك به وكتب، فهذا هو (حق اليقين).

وهذا ينطبق على فعل نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإنه ما شك في ربه أبداً وحاشاه، وإنما أراد أن ينتقل من مستوى الاستدلال إلى مستوى العيان، ومن درجة علم اليقين لدرجة عين اليقين، ويرتقي من مرتبة الإيمان إلى مرتبة الإحسان، وهذا مطلب كل مؤمن يسعى لبلوغ الكمال، كما أن سؤال الله الفردوس الأعلى من الجنة خير من سؤاله الجنة.

وعندما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف { نحن أحق بالشك من إبراهيم }، كان هذا من قبيل افتراض ما لا يمكن وقوعه - كما بين علماء السلف سابقاً -، أي لو افترضنا جدلاً أن إبراهيم شك - وهو

أما الحديث المتعلق بالآية الكريمة، فالمعنى فيها واحد، هو نفي الشك، - مع اختلاف الآراء في توجيه معنى قول محمد صلى الله عليه وسلم: { نحن أحق بالشك من إبراهيم }.

توجيه الحديث عند النافين لإمكان الشك عند محمد صلى عليه السلام:

١- قيل معناه: نحن أمته الذين يجوز عليهم الشك، وإخراجه هو منه بدلالة العصمة.

٢- قيل إنما صار أحق بالشك من إبراهيم؛ لما عانى من تكذيب قومه وردهم عليه وتعجبهم من أمر البعث، فقال: أنا أحق أن أسأل ما سأل إبراهيم لعظيم ما جرى لي مع قومي المنكرين لإحياء الموتى، ولمعرفتي بتفضيل الله لي، ولكن لا أسأل في ذلك.^{٤٥}

٣- قيل معناه: إذا لم نشك نحن فإبراهيم أولى ألا يشك، أي لو كان الشك متطرقاً إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به منهم، وقد علمتم أنني لم أشك فاعلموا أنه لم يشك، وإنما قال ذلك تواضعاً منه، أو من قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل من إبراهيم.

٤- قيل: أن الآية لما نزلت قال بعض الناس: "شك إبراهيم ولم يشك نبينا"، فبلغه ذلك فقال: { نحن أحق بالشك من إبراهيم }، وأراد ما جرت به العادة في المخاطبة لمن أراد أن يدفع عن آخر شيئاً قال، مهما أردت أن تقوله لفلان فقله لي، ومقصوده: لا تقل ذلك.

٥- قيل معناه: هذا الذي ترونه شكاً أنا أولى به؛ لأنه ليس بشك، إنما طلب لمزيد بيان، كما حكى بعض

^{٤٦}الدخان/٣٧
^{٤٧}ينظر: المراجع السابقة.

^{٤٥}فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (٥٨٠/٨) و(٤١٦/١٠).

اليقين، وتصبح مؤمنا جديدا؟!، أو على حسب كلام الشكاك مؤمنا عقلا نيا.^{٥١}

إن الشك في الأمور الثابتة والمسلّمات العقدية تعني أن صاحبه لم يزل متذبذبًا متأرجحًا بين الإيمان والكفر، وهذا لا يصدر من عامة المسلمين بما لديهم من إيمان فطري أساسه اليقين بمعرفة الله وتوحيده، فضلا عن أنبياء الله تعالى.

والغزالي نفسه عاد عن منهجه الشكي آخر حياته، بل قال: (لأن أموت على إيمان عجائز نيسابور خير لي!!)، واعتبر شكه مرضًا عافاه الله منه فقال: (...حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض، وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال، ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقًا بها على أمر يقين).^{٥٢}

فأساس الإشكال الذي وقع فيه الشكّاق القائلون بـ(الشك الإبراهيمي)، أنهم قدموا عقولهم وأهواءهم على النقل الثابت الصريح، وربما ساعدتهم بعض الآراء المرجوحة التي نقلها القائلون بنفي وقوع الشك من المفسرين، كقولهم أن معنى (ليطمئن قلبي)، رجلا صالحا كان يصحب إبراهيم سأله فأراد إبراهيم أن يطمئنه، وإن كان المفسرون علقوا على هذا الرأي وعلى بعض الآراء الأخرى إلا أن الشكّاق استغلوا ذلك في النيل من علماء السلف، ولم يتأملوا تعليقاتهم الدقيقة عليها.^{٥٣}

أبو الأنبياء -، فوقوعنا في الشك من باب أولى، وقال ذلك ليستبعد حصوله.

ورغم تعدد التفاسير حول معنى الحديث إلا أن هذا القول هو أظهر الأقوال، ويحتمل أن يكون المراد بالشك في حق أبي الأنبياء إبراهيم، الوسائوس التي لا تعدو أن تكون من صريح الإيمان كما ورد في السنة أن بعض الصحابة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: (إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، فقال: وقد وجدتموه؟، قالوا: نعم، فقال: ذلك صريح الإيمان).^{٤٨}

ومن يقرأ الآية بكاملها لا يلتبس عليه الأمر؛ لأن إبراهيم سأل الله (كيفية) إحيائه للموتى، ولم يقل: (هل) تحيي الموتى؟ والفارق بينهما كبير وأوضح من أن يفسر، ثم أنه ذكر بحقه الإيمان ونفى الشك حين سأله الله أولم تؤمن؟ فأجابه: بلى! فكيف يقال إذا بأنه كان شاكًا والآية صريحة في نفي الشك عنه^{٤٩}؟!

ومن الغريب أن يقال بأن الشك هو طريق الإيمان واليقين، فالله تعالى وصف كتابه بقوله: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) ٥٠، ولم يقل: هدى للمرتابين، والتقوى يقين لا يخالطها شك، وكيف يقال لصاحب القرآن الذي قد قرر الإيمان في قلبه: ارجع إلى إيمانك وشكك فيه، حتى تتطلق من هذا الشك إلى

^{٤٨} أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، رقم (٥١١٢). والإمام أحمد في مسنده، (٢٣٥/١).

^{٤٩} بين ابن حجر أن قوله (أولم تؤمن)، (استفهام بمعنى التقرير، كقول الشاعر: أستم خير من ركب المطايا، وأندى العالمين بطون راح؟، والمقصود أن يجيب إبراهيم ليعلم الناس أنه كان مؤمنا عارفاً)، حتى لا يتوهم البعض هذا المعنى الفاسد الذي جاء به الشكّاق.

^{٥٠} البقرة/٢

^{٥١} الشبكة العنكبوتية مليئة بكلامهم. وبعضه حجب لشدة خطورته وفساده.

^{٥٢} المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي. (١٨٥).

^{٥٣} هذا وجدته من خلال تصفحي للشبكة الإلكترونية، والتي قد يندخ بها بعض القراء وبما فيها من كلام مناقض لصريح الآيات.

٥- القائلون بالشك فسروا معنى الحديث بأنه أراد صلى الله عليه وسلم أن يعلن أحقية المسلمين بهذا الشك، كونهم ورثة لإبراهيم القائد لثورة الشك، وذلك من باب قياس الأولى.

٦- النافون لوقوع الشك من إبراهيم كانت لهم أقوال عدة في بيان معنى الآية والحديث كلها تنفي وقوع الشك من إبراهيم.

٧- الشك ناقض من نواقض الإيمان، وليس فيه ما هو إيجابي وما هو سلبي، ومذموم حصوله على كل حال من المؤمن.

٨- الإيمان مراتب ودرجات، وإبراهيم لما سأل الله أراد أن يترقى لمنزلة عين اليقين، كمن يسأل الله الفردوس الأعلى من الجنة.

٩- إبراهيم لو كان شاكاً لما استجاب الله دعوته وعرض كيفية إحياء الموتى من خلال الطير.

١٠- محمد صلى الله عليه وسلم أراد بقوله نحن أحق بالشك من إبراهيم، استبعاد حصوله باستخدام قياس الأولى، وهو ما استخدمه زعماء الشك الإبراهيمي مع الفارق الكبير بينهما.

١١- الإسلام لم يرجح كفة العقل -كما فعل الشكاك-، كما لم يهمله وإنما وازن بين العقل والنقل، واتخذ العقل وسيلة من وسائل المعرفة تابعة للنقل، والنقل مقدّم عليها.

١٢- أن الساحة الإلكترونية امتلأت بكلام الشكاك المدعين للعقلانية، وفاضت بسمومهم الفكرية التي استخدموا لها الأساليب البلاغية والبيانية لتكون طريقاً

والإسلام حتماً لا يلغي العقل أو الحس كوسيلة من وسائل المعرفة ولكنه يعتبر النقل سابقاً عليهما، وهو الأصل والعقل تابع له.

وسؤال إبراهيم عليه الصلاة والسلام متعلق بمسألة عقدية ثابتة صريحة، وهي مسألة الإيمان بالبعث، فإن قيل إن إبراهيم شك فمعناه أنه شك في هذا الركن العظيم المتعلق بأصول الإيمان، والشك فيها ناقض من نواقضه.

الخاتمة

يمكن الخروج من هذه الدراسة بالوقوف على مجمل الأفكار:

١- الآية الكريمة عرضت الحوار الراقي الذي دار بين خليل الله إبراهيم وبين الله تعالى، وفيه إشارة إلى أهمية الحوار في الإسلام، وضرورة التأدب مع المحاور.

٢- نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام سأل الله كيفية إحيائه للموتى، ومن خلال السؤال انقسمت الآراء ما بين القائلين بوقوع الشك من إبراهيم، والنافين له.

٣- القائلون بالشك انطلقوا من مبدأ أن الشك أول منازل اليقين، وهو ما يعرف بالشك المنهجي أو ما يعرف ب(الإيجابي).

٤- القائلون بالشك ذكروا أن إبراهيم شك في قدرة الله وفي أمر البعث و المعاد، مثلما أنه شك في معرفة المبدأ، وكل ما دار من حوار بين إبراهيم وربه في القرآن حملوه على هذا المحمل وجعلوه مستنداً كبيراً لمنهجهم القائم على الشك.

دراسة نصية تحليلية لقول الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ۖ قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ) ٣٠١

للتأثير في الناس، والواجب التصدي لهم والرد عليهم
ودحض أباطيلهم قبل أن يستفحل الداء ويسري في
الجسم سريان السموم.
رزقنا الله يقينًا لا تُبدده ظلمات المرتابين... آمين

**Textual analysis study of God Almighty saying: (And when Abraham said,
Lord, show me how you revive the dead He said, did you not believe
He said Blatty, but my Prophet)**

Dr.Eman Muhammed Alassiri

*Assistant professor Art and humanities college
King Abdulaziz University
Jeddah*

Abstract. this study revolves around the story of Abraham, peace be upon him, talking to his Lord, and asking him to show him how to revive the dead. the study was illustrating this question, was it a question of doubt or was it a question of further believe?

Likewise, the hadith of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, "We are more entitled to doubt than Abraham." And does the hadith of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, indicate that doubt may arise in matters of belief as an introduction to certainty?

This required clarifying opinions about the noble verse and the noble Prophet's hadith, identifying the most correct of them, and showing their weight.

This also required beginning to talk about the concept of doubt and its divisions, and is doubt the first duty of the obligated person as the skeptics says? Can it be said that there is a positive and negative doubt?